لما قامت الحجة عليها بما لا قبل لهم بالتنصل منه أعقبت بالتفريع على افترائهم الكذب وذلك مما عرف من أحوالهم من اتخاذهم الشركاء له كما أشار إليه قوله ( ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا ) أي أشركوا إلى قوله ( لننظر كيف تعملون ) وتكذيبهم بآيات ا في قولهم ( ائت بقرآن غير هذا أو بدله ) . وفي ذلك أيضا توجيه الكلام بصلاحيته لأن يكون إنصافا بينه وبينهم إذ هم قد عرضوا بنسبته إلى الافتراء على ا حين قالوا ( ائت بقرآن غير هذا ) وصرحوا بنفي أن يكون القرآن من عند ا فلما أقام الحجة عليهم بأن ذلك من عند ا وأنه ما يكون له أن يأتي به من تلقاء نفسه فرع عليه أن المفتري على ا كذبا والمكذبين بآياته كلاهما أظلم الناس لا أحد أظلم منهما وذلك من مجاراة الخصم ليعثر يخيل إليه من الكلام أنه إنصاف بينهما فإذا حصحص المعنى وجد انصبابه على الخصم وحده .

والتفريع صالح للمعنيين وهو تفريع على ما تقدم قبله مما تضمن أنهم أشركوا با وكذبوا بالقرآن .

ومحل ( أو ) على الوجهين هو التقسيم وهو إما تقسم أحوال وإما تقسم أنواع .

والاستفهام إنكاري . والظلم : هنا بمعنى الاعتداء . وإنما كان أحد الأمرين أشد الظلم لأنه اعتداء على الخالق بالكذب عليه وبتكذيب آياته .

وجملة ( إنه لا يفلح المجرمون ) تذييل وموقعه يقتضي شمول عمومه للمذكورين في الكلام المذيل " بفتح التحتية " فيقتضي أن أولئك مجرمون وأنهم لا يفلحون .

والفلاح تقدم في قوله تعالى ( وأولئك هم المفلحون ) في سورة البقرة .

ينكرون لأنهم للمخاطبين المجرمين عموم شمول إلى ناظر التأكيد بحرف الجملة وتأكيد A E أن يكونوا من المجرمين .

وافتتاح الجملة بضمير الشأن لقصد الاهتمام بمضمونها .

( ويعبدون من دون ا ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند ا قل أتنبئون ا بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحنه وتعالى عما يشركون ) عطف على جملة ( وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ) عطف القصة على القصة . فهذه قصة أخرى من قصص أحوال كفرهم أن قالوا ( ائت بقرآن غير هذا ) حين تتلى عليهم آيات القرآن ومن كفرهم أنهم يعبدون الأصنام ويقولون ( هم شفعاؤنا عند ا ) .

والمناسبة بين القصتين أن في كلتيهما كفرا أظهروه في صورة السخرية والاستهزاء وإيهام أن العذر لهم في الاسترسال على الكفر فلعلهم " كما أوهموا أنه إن أتاهم قرآن غير

المتلوا عليهم أو بدل ما يرومون تبديله آمنوا " كانوا إذا أنذرهم النبي A بعذاب ا قالوا : تشفع لنا إلهتنا عند ا . وقد روى أنه قاله النضر بن الحارث " على معنى فرض ما لا يقع واقعا " " إذا كان يوم القيامة شفعت لي اللات والعزى " . وهذا كقول العاص بن وائل وكان مشركا لخباب بن الأرت وهو مسلم وقد تقاضاه أجرا له على سيف صنعه " إذا كان يوم القيامة الذي يخبر به صاحبك " يعني النبي A " فسيكون لي مال فأقضيك منه " .

" وفيه نزل قوله تعالى ( أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا ) الآية " .

ويجوز أن تكون جملة ( ويعبدون ) الخ عطفا على جملة ( فمن أظلم ممن افترى على ا كذبا ) فإن عبادتهم ما لا يضرهم ولا ينفعهم من الافتراء .

وإيثار اسم الموصول في قوله ( ما لا يضرهم ولا ينفعهم ) لما تؤذن به صلة الموصول من التنبيه على أنهم مخطئون في عبادة ما لا يضر ولا ينفع وفيه تمهيد لعطف ( ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند ا ) لتحقير رأيهم من رجاء الشفاعة من تلك الأصنام فإنها لا تقدر على ضر ولا نفع في الدنيا فهي أضعف مقدرة في الآخرة .

واختيار صيغة المضارع في ( يعبدون ) و ( يقولون ) لاستحضار الحالة العجيبة من استمرارهم على عبادتها أي عبدوا الأصنام ويعبدونها تعجيبا من تصميمهم على ضلالهم ومن قولهم ( هؤلاء شفعاؤنا عند ا ) فاعترفوا بأن المتصرف هو ا